الخطاب الذهبي

بقلم الشيخ بـكـــر أبـــو زيـــد حفظه الله

فضيلة الأخ الشيخ / ربيع بن هادي المدخلي .. الموقر

السلام عيكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد

فأشير إلى رغبتكم قراءة الكتاب المرفق ((أضواء إسلامية على عقيـدة سـيد قطب وفكـره)).. هل من ملاحظـات عليه ثم هـذه الملاحظات هل تقضي على هذا المشروع فيطـوى ولا يـروى، أم هي مما يمكن تعديلها فيترشح الكتـاب بعد الطبع والنشر ويكـون ذخـيرة لكم في الأخـرى، بصـيرة لمن شـاء الله من عبـاده في الدنيا، لهذا أبدي ما يلي..

1 - نظرت في أول صفحة من (فهـرس الموضـوعات فوجـدتها عنـــاوين قد جمعت في ســيد قطب رحمه اللـــه، أصـــول الكفر والإلحاد والزندقـة، القـول بوحـدة الوجـود، القـول بخلق القـرآن، يجوز لغير الله أن يشرع، غلـوه في تعظيم صـفات الله تعـالى، لا يقبل الأحـاديث المتـواترة، يشـكك في أمـور العقيـدة الـتي يجب الجزم بها، يكفر المجتمعات ..إلى أخر تلك العناوين التي تقشـعر منها جلـــــــــــــــود المؤمـــــــــــــــنين..

وأسفت على أحوال علماء المسلمين في الأقطار الذين لم ينبهوا على هذه الموبقات.. وكيف الجمع بين هذا وبين انتشـار كتبه في الآفاق انتشار الشمس، وعامتهم يسـتفيدون منهـا، حـتى أنت في بعض ما كتبت، عند هذا أخذت بالمطابقة بين العنوان والموضوع، فوجـــدت الخـــبر يكذبه الخـــبر، **ونهايتها بالجملة عنـــاوين استفزازية** تجذب القـارئ العـادي، إلى الوقيعة في سـيد رحمه الله، وإني أكره لي ولكم ولكل مسلم مواطن الإثم والجناح، وإن من الغبن الفـاحش إهـداء الإنسـان حسـناته إلى من يعتقد بغضه وعداوته.

2 - نظرت فوجدت هذا **الكتاب يـفـتـقـد:**

(أصـول البحث العلمي، الحيـدة العلميـة، منهـج النقـد، أمانـة النقل والعلم، عـــــــــدم هضم الحـــــــــق).

أما أدب الحـوار وسـمو الأسـلوب ورصـانة العـرض فلا تمت إلى الكتاب بهاجس.. وإليك الدليل...

أولاً: رأيت الاعتماد في النقل من كتب سيد رحمه الله تعالى **من طبعات سابقة** مثل الظلال والعدالة الاجتماعية مع علمكم كما في حاشية ص 29 وغيرها، أن لها طبعات معدلة لاحقة، والواجب حسب أصـول النقد والأمانة العلميـة، تسـليط النقد إن كـان على النص من الطبعة الأخيرة لكل كتاب، لأن ما فيها من تعديل ينسخ ما في ســابقتها وهــذا غــير خــاف إن شــاء الله تعــالى على

معلوماتكم الأولية، لكن لعلها غلطة طالب حضر لكم المعلومـات ولما يعـرف هـذا ؟؟، وغـير خـاف لما لهـذا من نظـائر لـدى أهل اعلم، فمثلاً كتــاب الــروح لابن القيم لما رأى بعضـــهم فيما رأى قال: لعله في أول حياته وهكذا في مواطن لغيره، وكتاب العدالة الاجتماعية هو أول ما ألفه في الإسلاميات والله المستعان.

ثانيًـا: لقد اقشـعر جلـدي حينما قـرأت في فهـرس هـذا الكتـاب قولكم (سيد قطب يجوز لغير الله أن يشـرع)، فهـرعت إليها قبل كل شيء فرأيت الكلام بمجموعه نقلاً واحدًا لسـطور عديـدة من كتابه العدالة الاجتماعية) وكلامه لا يفيد هذا العنوان الاسـتفزازي، **ولنفــــرض أن فيه عبــــارة موهمة أو مطلقـــة، فكيف نحولها إلى مؤاخـذة مكفـرة، تنسف ما بـنى عليه سـيد رحمه الله حياته ووظف له قلمه من الدعوة إلى توحيد الله تعالى (في الحكم والتشـــريع)** ورفض سن القــــوانين الوضعية والوقـوف في وجـوه الفعلة لـذلك، إن الله يحب العـدل والإنصاف في كل شيء ولا أراك إن شـاء الله تعـالى إلا في أوبة إلى العدل والإنصاف.

ثالثًــا: ومن العنــاوين الاسـتفـزازيـــة قــولكم (قــول سـيد قطب بوحدة الوجود).

إن **ســــيدًا رحمه الله قــــال كلامًا متشــــابهًا حلق فيه بالأســلوب في تفســير ســورتي الحديد والإخلاص** وقد اعتمد عليه بنسـبة القـول بوحـدة الوجـود إليـه، وأحسـنتم حينما نقلتم قوله في تفسـير سـورة البقـرة من رده الواضح الصــريح لفكـرة وحـدة الوجـود، ومنه قوله: ((ومن هنا تنتفي من التفكـير الإسلامي الصـحيح فكـرة وحـدة الوجـود)) وأزيـدكم أن في كتابه (مقومــات التصـور الإسـلامي) ردًا شـافيًا على القــائلين بوحــدة الوجـود، لهـذا فنحن نقـول غفر الله لسـيد كلامه المتشـابه الـذي جنح فيه بأســلوب وسع فيه العبــارة.. **والمتشــابه لا يقــاوم النص الصـريح القـاطع من كلامه**، لهـذا أرجو المبـادرة إلى شطب هذا التكفير الضمني لسيد رحمه الله تعـالى وإني مشـفق عليكم.

رابعًــا: وهنا أقــول لجنــابكم الكــريم بكل وضــوح إنك تحت هــذه العنــاوين (مخالفته في تفســير لا إله إلا الله للعلمــاء وأهل اللغة وعدم وضوح الربوبية والألوهية عند سيد) .

أقــول أيها المحب الحــبيب، لقد نسـفت بلا تثبت جميع ما قــرره سـيد رحمه الله تعــالى من معــالم التوحيد ومقتضــياته، ولوازمه التي تحتل السمة البارزة في حياته **الطويلة فجميع ما ذكرته يلغيه كلمة واحـــــــدة، وهي أن توحيد الله في الحكم**

والتشريع من مقتضيات كلمة التوحيد، وسيد رحمه الله تعـالى ركز على هـذا كثـيرًا لما رأى من هـذه الجـرأة الفاجرة على إلغاء تحكيم شرع الله من القضاء وغـيره وحلال القوانين الوضعية بدلاً عنها ولا شك أن هذه جـرأة عظيمة ما عاهـدتها الأمة الإسـلامية في مشـوارها الطويل قبل عـام (1342هـ).

خامسًا: ومن عناوين الفهرس (قول سـيد بخلق القـرآن وأن كلام الله عبـــــــــــــــــــــــــــــــارة عن الإرادة)..

لما رجعت إلى الصـفحات المـذكورة لم أجد حرفًا واحـدًا يصـرح فيه سـيد رحمه الله تعـالى بهـذا اللفظ (القـرآن مخلـوق) كيف يكون هذا الاستسهال للـرمي بهـذه المكفـرات، إن نهاية ما رأيت له تمدد في الأسلوب كقوله (ولكنهم لا يملكون أن يؤلفـوا منها ـ أي الحروف المقطعة ـ مثل هذا الكتـاب لأنه من صـنع الله لا من صنع الناس) ..وهي عبـارة لا شك في خطأها ولكن هل نحكم من خلالها أن سيدًا يقول بهـذه المقولة الكفرية (خلق القـرآن) اللهم إني لا أستطيع تحمل عهـدة ذلـك.. لقد ذكـرني هـذا بقـول نحـوه للشـــيخ محمد عبد الخـــالق عظيمة رحمه الله في مقدمة كتابه دراسـات في أسـلوب القـرآن الكـريم والـذي طبعته مشـكورة جامعة الإمـــام محمد بن سـعود الإسـلامية، فهل نـــرمي الجميع بـــــالقول بخلق القــــرآن اللهم لا، واكتفي بهــــذا من الناحية الموضوعية وهي المهمة.

ومن جهات أخرى أبدي ما يلي:

1 - مسـودة هـذا الكتـاب تقع في 161 صـفحة بقلم اليد، **وهي خطوط مختلفة، ولا أعـرف منه صـفحة واحـدة بقلمكم حسب المعتـاد**، إلا أن يكـون اختلف خطكم، أو اختلط علي، أم أنه **عُهد بكتب سـيد قطب رحمه الله لعـدد من الطلاب** فاسـتخرج كل طـالب ما بـدا له تحت إشـرافكم، أو بـإملائكم. لهـذا فلا أتحقق من نسـبته إليكم إلا ما كتبته على طرته أنه من تأليفكم، وهذا عندي كاف في التوثيق بالنسبة لشخصكم الكريم.

2 - مع اختلاف الخطوط إلا أن الكتاب من أوله إلى أخره يجـري على وتيرة واحـدة وهي: أنه بنفس متـوترة وتهيج مسـتمر، ووثبة تضغط على النص حتى يتولد منه الأخطاء الكبـار، **وتجعل محل الاحتمـال ومشـتبه الكلام محل قطع لا يقبل الجـدال... وهذا نكث لمنهج النقد: الحيدة العلمية** .

3 - من حيث الصيغة إذا كان قارنًا بينه وبين أسلوب سـيد رحمه اللـه، فهو في نـزول، سـيد قد سَـمَا، وإن اعتبرنـاه من جـانبكم الكـريم فهو أسـلوب (إعـدادي) لا يناسب إبـرازه من طـالب علم

حـاز على العالمية العاليـة، لا بد من تكـافؤ القـدرات في الـذوق الأدبي، والقــــدرة على البلاغة والبيــــان، وحسن العـــــرض، وإلا فليكسر القلم.
4 - لقد طغى أســــلوب التهيج والفــــزع على المنهج العلمي النقدي.... ولهذا افتقد الرد أدب الحوار.
5 - في الكتاب من أوله إلى آخره تهجم وضيق عطن وتشنج في العبارات فلماذا هذا...؟
6 - هذا الكتاب ينشط الحزبية الجديدة التي أنشـئت في نفـوس الشبيبة جنوح الفكر بـالتحريم تـارة، والنقض تـارة وأن هـذا بدعة وذاك مبتـدع، وهـذا ضـلال وذاك ضـال.. ولا بينة كافية للإثبـات، وولدت غرور التدين والاستعلاء حتى كأنما الواحد عند فعلته هــذه يلقي حملاً عن ظهره قد استراح من عناء حمله، وأنه يأخذ بحجز الأمة عن الهاويــة، وأنه في اعتبــار الآخــرين قد حلق في الــورع والغيرة على حرمـات الشـرع المطهـر، وهـذا من غـير تحقيق هو في الحقيقة هــدم، وإن اعتــبر بنــاء عــالي الشــرفات، فهو إلى التساقط، ثم التبرد في أدراج الرياح العاتية .
** هذه سمات ست تمتع بها هذا الكتاب فآل غـيـر مـمـتـع، هـذا ما بـدا إلي حسب رغبتكم، وأعتـذر عن تـأخر الجـواب، لأنـني من قبل ليس لي عناية بقـراءة كتب هـذا الرجل وإن تـداولها النـاس، لكن هول ما ذكرتم دفعـني إلى قـراءات متعـددة في عامة كتبـه، **فوجدت في كتبه خيرًا كثيرًا وإيمانًا مشـرقًا وحقًا أبلج، وتشــريحًا فاضــحًا لمخططــات العــداء للإســلام، على عـثرات في سـياقاته واسترسـال بعـبرات ليته لم يفه بهــا، وكثــير منها ينقضــها قوله الحق في مكــان أخر والكمــال عزيز**، والرجل كــان أديبًا نقــادة، ثم اتجه إلى خدمة الإسـلام من خلال القـرآن العظيم والسـنة المشـرفة، والسـيرة النبوية العطـرة، فكـان ما كـان من مواقف في قضـايا عصـره، وأصر على موقفه في سـبيل اللـه تعـالى، وكشف عن سـالفته، وطلب منه أن يسطر بقلمه كلمـات اعتـذار وقـال كلمته الإيمانية المشهورة، إن أصبعًا أرفعه للشهادة لن أكتب به كلمة تضـارها... أو كلمة نحو ذلك، فـالواجب على الجميع ... الـدعاء له بـالمغفرة ... والاستفادة من علمه، وبيان ما تحققنا خطأه فيـه، وأن خطـأه لا يــوجب حرماننا من علمه ولا هجر كتبه.. **اعتــبر رعــاك الله حاله بحال أسلاف مضوا أمثـال أبي إسـماعيل الهـروي والجيلاني كيف دافع عنهما شيخ الإسـلام ابن تيمية مع ما لديهما من الطـوام لأن الأصل في مسـلكهما نصـرة الإسلام والسنة، وانظر منازل السائرين للهروي رحمه**

الله تعالى، ترى عجائب لا يمكن قبولها ومع ذلك فـابن القيم رحمه الله يعتـــذر عنه أشد الاعتـــذار ولا يجرمه فيها، وذلك في شرحه مدارج السالكين، وقد بسطت في كتـاب (تصـــنيف النـــاس بين الظن واليقين) ما تيسر لي من قواعد ضابطة في ذلك .

وفي الختام فأني أنصح فضيلة الأخ في الله بالعدول عن طبع هذا الكتاب (أضواء إسلامية) وأنه لا يجوز نشره ولا طبعه لما فيه من التحامل الشديد والتدريب القـوي لشـباب الأمة على الوقيعة في العلمـــاء، وتشـــذيبهم، والحط من أقـــدارهم والانصـــراف عن فضـــائلهم.. واســـمح لي بـــارك الله فيك إن كنت قســـوت في العبارة، فإنه بسبب ما رأيته من تحاملكم الشديد وشفقتي عليكم ورغبتكم الملحة بمعرفة ما لـدي نحـوه... جـرى القلم بما تقـدم سـدد الله خطى الجميـع.. والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه،،

أخوكم بكر أبو زيد